الفصل الأول

ملامح الرعاية الاجتماعية في الإسلام

تمهيد:

المبحث الأول: أسس الرعاية الاجتماعية.

المبحث الثاني: خصائص الرعاية الاجتماعية الإسلامية.

المبحث الثالث: حق الفرد في الرعاية الاجتماعية.

الفصل الأول

ملامح الرعاية الاجتماعية في الإسلام

تمهيد:

الرعاية الاجتماعية في الإسلامة تقوم على أسس وركائز مستمدة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، وتختص بخصائص معينة جعلت منها صورة فريدة ومتميزة.

ومما لا شك فيه أن الرعاية الاجتماعية حق لكل فرد في المجتمع إلا أنها ليست حقاً مطلقاً بل يتقرر على أسس وضوابط معينة.

لذا نتناول في هذا الفصل: أسس الرعاية الاجتماعية في الإسلام، وخصائص هذه الرعاية، ثم حق الفرد في الرعاية الاجتماعية. وذلك في ثلاثة مباحث.

المبحث الأول

أسس الرعاية الاجتماعية

تقوم الرعاية الاجتماعية في الإسلام على الأسس والركائز التالية:

١- إن المؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، وكل منهم مسؤول عن غيره بقدر موقعه منه، وبقدر قدرته إيصال النفع له ورفع الضرر عنه، وذلك ما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[(١)].

وضمن هذه الولاية والمسؤولية التي تشير إليها الآية الكريمة ما ينبغي أن يقوم بين المسلمين من تآزر وتساند، وتعاطف وتراحم، وتعاون وتكافل، فالتكافل الاجتماعي «من لوازم الأخوة بل هو أبرز لوازمها، وهو شعور الجميع بمسؤولية بعضهم عن بعض، وأن كل واحد منهم حامل لتبعات أخيه، ومحمول على أخيه، يسأل عن نفسه، ويسأل عن غيره»[(٢)].

٢- إن المسلم لا يعيش لنفسه فقط وإنما يعيش كذلك ليرعى بنيه وذويه، وجيرانه، وإخوانه، ومرؤوسيه، وزملاءه، وسائر من يرتبط بهم إيمانياً أو

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧١.

(٢) «الإسلام عقيدة وشريعة»، فضيلة الشيخ محمود شلتوت ص ٤٤٣.

إسلامياً، أو إنسانياً، ورعاية المرء لهذه الدوائر ليست أمراً اختيارياً، وإنما هي مسؤولية يحاسب عليها بين يدي الله، ويقوم بها في إطار تقواه لله، وذلك ما ينبه إليه قولهُ تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً** ﴾[١].

وقوله تعالى ﴿ **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً** ﴾[٢].

وقوله ﷺ: «**ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع، وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته**»[٣].

٣- إن التفاوت بين الناس ليس ليزداد الغني غنى والفقير فقراً، وإنما ليحسن كل منهما تقديره لنعمة ربه عليه فيشكره عليها، ثم ليكون في خدمة مجتمعه بما يمكنه أن يخدمه، فقد يكون لدى الفقير جلد على العمل مع

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة: باب فضيلة الإمام العادل (٤/ ٤٩٠)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

الغني والحماية له، وقد تكون لدى الغني قدرة على العطاء والرعاية للفقير فيعطي كل منهما للآخر مما حباه الله به، ويخدم كل منهما الآخر بما أقدره الله عليه، وهذا لعله يعلن ما يشير إليه قوله تعالى ﴿ **أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾[١].

قال ابن كثير: وقوله جلت عظمته ﴿ **لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا** ﴾ أي ليُسخِّر بعضهم بعضاً في الأعمال، لاحتياج هذا إلى هذا وهذا إلى هذا[٢].

٤- إن المؤمن بإيمانه بالله واليوم الآخر موقن بخيرية كل ما وجب عليه أو ندب إليه من قبل الحق تبارك وتعالى، ثم هو مؤمن بأن عطاء الآخرة خير له وأبقى من عطاء الأولى، وبأن الذي يستهلكه هو الذي يفنى، وما يتطوع به أو يقرضه الله قرضاً حسناً هو الذي يدخر له بمثوبة الله ومرضاته، مصداقاً لقوله تعالى ﴿ **مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ** ﴾[٣].

وهذا أمر يفسر لنا كيف يمضي المؤمن مبادراً إلى استباق الخيرات بالصدقات والتطوعات في مختلف مجالات الرعاية الاجتماعية.

٥- إن الرعاية الاجتماعية ليست فقط من الأفراد بالنسبة للأفراد أو بالنسبة

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٣٢.

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٢٨٩).

(٣) سورة النحل، الآية: ٩٦.

لمشروعات الدولة، وإنما تكون كذلك من الدولة وحكامها بالنسبة لرعاياها فيما يكون تقديراً لما لا تنهض به الدخول الثابتة، أو الرواتب المحددة من أزمات الأفراد أو ضوائقهم، وقد تتمثل الرعاية من الدولة في تشجيع بعض المشروعات الإنمائية كالإعفاء من الضرائب أو إيصال المرافق، أو شق الطرق، أو تخفيف الرسوم الجمركية حتى تنهض هذه المشروعات أو تستوي على سوقها، وقد يستأنس لهذا بما أخرجه مسلم في صحيحه[1] من حديث حرملة عن عبدالرحمن بن شماسة قال: أتيت عائشة رضي الله عنها أسأل عن شيء فقالت: ممن أنت؟ فقلت: رجل من أهل مصر. فقالت: كيف كان صاحبكم لكم في غزاتكم هذه؟ فقال: ما نقمنا منه شيئاً إن كان ليموت للرجل منا البعير فيعطيه البعير، والعبد فيعطيه العبد ويحتاج إلى النفقة فيعطيه النفقة. فقالت عائشة سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفُق به**».

٦- إن المؤمن ذو طبيعة خاصة فهو بعمق إيمانه، وكمال يقينه يحب للناس ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لها، فهو حين يسعى على الأرملة أو المسكين أو ابن السبيل أو يخلف غازيا في أهله بخير، أو يشفع في إيصال حق إلى مستحق، أو يرفع ظلامة عن مظلوم حين يفعل شيئاً من هذا يكون قد وضع نفسه موضع الآخرين، وحمد الله على ما أنعم به

(١) «صحيح مسلم»، كتاب الإمارة: باب فضيلة الإمام العادل (٤/ ٤٩١).

عليه بالنسبة لهم ثم يفعل معهم ما يتمنى أن يفعل معه، لو كان في مثل حالهم بعد أن يكون قد قرأ جيداً أو تمثل جيداً قوله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره (أو قال لأخيه) ما يحب لنفسه**»[(١)].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان: باب وجوب محبة الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين (١/ ٢١٩).

المبحث الثاني

خصائص الرعاية الاجتماعية الإسلامية

تتميز الرعاية الاجتماعية الإسلامية بخصائص عديدة نجملها فيما يلي:

أولاً: تنبع هذه الرعاية من تعاليم الدين الإسلامي المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فهي تقوم على مجموعة من التشريعات نذكر منها[١]:

١- تشريع المساعدة: وهو يشمل الفقير والمسكين وابن السبيل والمدين والغارم وسيأتي تفصيل ذلك في موضعه إن شاء الله.

٢- تشريع التعاون: قال تعالى ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾[٢].

٣- تشريع الجوار: قال تعالى ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ**﴾[٣].

٤- تشريع الضيافة: قال رسول الله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته» قالوا وما جائزته يا رسول الله؟ قال: «يومه**

---

(١) «المجتمع المتكافل في الإسلام» لعبد العزيز الخياط (٢٤٩-٢٥٠) بتصرف. طبعة عام ١٩٨٦م.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٢.

(٣) سورة النساء، الآية: ٣٦.

وليلته، والضيافة ثلاثة أيام فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه»[(١)].

٥- تشريع الإعفاف بالزواج: قال تعالى ﴿**وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[(٢)]، وقال ﷺ «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج**»[(٣)] الحديث.

٦- تشريعات الإعانات العائلية: كمساعدات الزواج وعلاوات الأولاد، فقد كان الرسول ﷺ إذا أتاه في قسمة يومه أعطى المتزوج حظين وأعطى العزب حظاً واحداً. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يفرض لكل مولود عطاء يضاف إلى عطاء أبيه (مائة درهم) يزاد كلما نما الولد.

٧- تشريعات الإسعاف في حالات الجوع والعطش المنهكة. قال رسول الله ﷺ «أيما أهل عرصة بات فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله»[(٤)].

٨- تشريعات الطوارئ: قال ﷺ: «**... ومن فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة**»[(٥)]. كما أمر رسول

---

(١) «عمدة القارئ» - كتاب الأدب - باب إكرام الضيف جـ: (٢٢/ ١٧٤)، «صحيح مسلم» كتاب اللقطة باب الضيافة: (٤/ ٣٢٥).

(٢) سورة النور، الآية: ٣٢.

(٣) «صحيح مسلم»: (٢/ ١٠١٨-١٠١٩).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٧/ ٥٨) قال الأستاذ أحمد شاكر إسناده صحيح.
«تلخيص الحبير»: (٣/ ١٣)، «مجمع الزوائد»: (٤/ ١٠٠).

(٥) «صحيح البخاري»: (٥/ ٩٧) رقم (٢٤٤٢)، «صحيح مسلم»: (٤/ ١٩٩٦) رقم (٢٥٨٠).

الله ﷺ بوضع الجوائح وهي آفة سماوية تجتاح المال من سنَةٍ أو فتنة أو نازلة عظيمة أو غير ذلك.

ثانياً: مؤسسات الرعاية الاجتماعية في الإسلام:

من الخصائص التي تتميز بها الرعاية الاجتماعية في الإسلام أنها تقوم في كثير من أنشطتها على الجهود التطوعية للأفراد، وكذلك على تنفيذ الكثير من هذه الأنشطة من خلال الجمعيات والمؤسسات الأهلية والحكومية، التي تجعل غايتها وهدفها مساعدة الناس، وتخفيف الويلات والمصائب عنهم وإغاثتهم، وتعليمهم وتثقيفهم، وإنشاء المستشفيات والمستوصفات الطبية، وتوفير أسباب الراحة والرياضة، وتحقيق غايات الخير والبر والرحمة بالضعفاء والشيوخ والأرامل، ورعاية السجناء، وهذه الجمعيات والمؤسسات تعتبر من أهم ما يعمل على تعاون المجتمع وتضامنه وتكامله[1].

وقد زخرت المدن الإسلامية بالعديد من المؤسسات ذات الصفة الاجتماعية البحتة - كالحمامات والأسبلة والمشافي - ومنها ما كان ذا صفة تجارية أو دينية، ولكنه احتوى نشاطاً اجتماعياً ملحوظاً، وأدى رسالة ذات صبغة اجتماعية واضحة كالفنادق والوكالات والجوامع والمدارس ومكافل الأيتام، ويبرز الطابع الاجتماعي لهذا النوع الأخير في أنه استهدف التقرب إلى الله تعالى بفعل الخير، سواء بالعناية باليتيم والضعيف أم بالمسافر والتاجر أم بطالب العلم والمريض . . . إلخ.

(١) «المجتمع المتكافل في الإسلام»، لعبد العزيز الخياط، ص٢٤٤.

والأمر اللافت للنظر في التاريخ الإسلامي أن هذه المؤسسات الاجتماعية استطاعت البقاء والاستمرار طويلاً دون أن تتوقف عن أداء رسالتها عقب وفاة مؤسسها، ذلك أن مؤسس المنشأة - حاكماً كان أو ثرياً من الخيرين - كان يوقف على منشأته -غالباً- وقفاً يدر عليها مورداً ثابتاً يضمن لها البقاء، ويكفل لها أداء رسالتها[١].

ومن ذلك يتضح أن الرعاية الاجتماعية في الإسلام تمتعت برعاية مؤسسيه خلال التاريخ الإسلامي، وكانت هذه المؤسسات تؤدي دورها بطريقة مستمرة ومنتظمة[٢].

ثالثاً: نوعية المستفيدين من الرعاية الاجتماعية في الإسلام:

تتصف الرعاية الاجتماعية في الإسلام بأنها رعاية شاملة، فهي لا تقتصر على رعاية الإنسان بل تمتد إلى رعاية الحيوان بل وإلى النبات أيضاً.

فالإنسان تقدم له الرعاية الاجتماعية في كافة حالاته، سواء في حالة قوته وحالة ضعفه، وفي حالة طفولته وشيخوخته، وسواء أكان ذكراً أم أنثى، ومهما كان جنسه أو نوعه أو دينه أو لونه، مع مراعاة الاهتمام بالرعاية الاجتماعية بشكل واضح للفئات الأكثر احتياجاً مثل الفقراء والمساكين والمرضى والمقعدين، واللقطاء واليتامى والأسرى.

كذلك يدخل تحت فئة المستفيدين من الرعاية الاجتماعية في الإسلام:

---

(١) «دراسات في تاريخ الحضارة العربية والإسلامية» - د/ سعيد عبدالفتاح عاشور وآخرين، ص ٨٩، طبعة الكويت.

(٢) «الرعاية الاجتماعية في الإسلام» د/ مصطفى أحمد حسان، ص ١٠.

المدين وابن السبيل والجار والضيف، علاوة على الأفراد الذين يتعرضون للكوارث والنكبات[١].

وهناك العديد من الحالات التي سنذكرها بالتفصيل - إن شاء الله - عند الحديث عن مجالات الرعاية الاجتماعية في الإسلام (في الفصل الثالث).

رابعاً: التطوع والرعاية الاجتماعية في الإسلام:

يعتبر التطوع للمشاركة في أوجه ومجالات الرعاية الاجتماعية في الإسلام من الخصائص المميزة لهذه الرعاية، حيث يحض الإسلام على التطوع في أعمال الخير، وفي ذلك يقول تعالى ﴿**فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ**﴾[٢]، ويقول سبحانه وتعالى ﴿**وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ**﴾[٣].

ولقد ربط الإسلام التطوع بالإيمان وبإسهام الإنسان وعطائه وبذله ودرجة إيمانه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»[٤].

ولا يستهين الإسلام بالعمل التطوعي مهما كان حجمه بل يدعو إلى بذل الجهد التطوعي مهما كان تقدير الإنسان له، وفي ذلك يقول الرسول

---

(١) المرجع السابق، ص ١١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٥٨.

(٤) «صحيح مسلم» (١/ ٢٠٩)، «صحيح البخاري»: (١/ ٢٠)، رقم ٨.

ﷺ: «**لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**»[(١)].

واعتبر الإسلام أن كل عمل تطوعي يقصد به وجه الله سبحانه وتعالى صدقة يستحق عنها المسلم أجراً في الآخرة، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: «**كل معروف صدقة**»[(٢)].

وروى الشيخان عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «**على كل مسلم صدقة، قالوا: يا رسول الله فإن لم يجد؟ قال: يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق. قالوا: فإن لم يستطع أو لم يفعل؟ قال: يعين ذا الحاجة الملهوف. قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: فليأمر بالمعروف. قالوا: فإن لم يفعل قال فيمسك عن الشر فإنه صدقة**»[(٣)].

فالتطوع للعمل الاجتماعي يعتبر صدقة أو واجب اجتماعي مفروض على كل مسلم في كل يوم، بل صح الحديث أنه واجب على كل مفصل من مفاصله مع إشراقة كل شمس. وبهذا يصبح المسلم ينبوعاً يفيض بالخير والسلام لمن حوله وما حوله[(٤)].

فيتعين على المسلم أن يتطوع للإسهام في رعاية مجتمعه، وأن يؤدي الواجب الاجتماعي المفروض عليه، فإنه لا يسقط عن أي فرد في المجتمع الإسلامي سواء أكان فقيراً أم غنياً، فالغني يبذل من ماله في سبيل الخير،

---

(١) «صحيح مسلم»: (٤/ ٢٦٢٦)، «شرح السنة»: (١٣/ ٨٤).

(٢) «صحيح البخاري»: (٩/ ٢٢٥)، رقم ٥٣٢٧، «صحيح مسلم»: (٣/ ٤٣)، كتاب الزكاة باب اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف.

(٣) «صحيح البخاري»: (٩/ ٢٢٥) رقم ٥٣٢٨، «صحيح مسلم»: (٣/ ٤٥) بنحوه.

(٤) «الرعاية الاجتماعية في الإسلام» د/ مصطفى أحمد حسان، ص ١٤ بتصرف.

والفقير يبذل من جهده ووقته ليحث الأغنياء على فعل الخير، ويأمر بالمعروف ما وسعه الجهد، ويعمل إن استطاع في كل لحظة للإصلاح بين الناس، وفي ذلك يقول تعالى ﴿ **لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً** ﴾[١].

لذلك تقوم الرعاية الاجتماعية في الإسلام بدورها معتمدة على الجهود التطوعية في جزء كبير منها، سواء أكانت هذه الجهود فردية أم جماعية، أم من خلال المشاركة بالجهد والعمل، ولا يقتصر التطوع على مجال بعينه بل قد يكون فردياً صغير العائد، أو جماعياً من خلال المشاركة في مجال التنمية والرعاية الاجتماعية، والتي قد تشمل الإنسان والحيوان من خلال فعل الخيرات لكل المخلوقات[٢].

الحسبة:

ومن أبرز الأعمال التطوعية في الإسلام «الحسبة» حيث أسهمت بدور كبير في حياة المجتمع الإسلامي عبر العصور؛ لذا نرى أنه من الأجدر إلقاء الضوء عليها فيما يأتي:

نظام الحسبة من النظم الإسلامية الجوهرية التي وضعتها الشريعة الإسلامية وانفردت بتطبيقها أمة محمد ﷺ، وقد وفر هذا النظام الحياة السليمة القويمة للمجتمع الإسلامي.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٤.

(٢) «الرعاية الاجتماعية في الإسلام» د/ مصطفى أحمد حسان، ص ١٤ بتصرف.

فالمحتسب له وظيفة دينية حيث يأمر بالمعروض وينهى عن المنكر، ويهتم بالمساجد وعمارتها ونظافتها، ويحث الناس على أداء الصلاة في جماعة. كما أن له وظيفة اقتصادية خاصة بالإشراف على المكاييل والموازين ومنع الغش والاحتكار وغير ذلك.

وبجانب الوظيفة الدينية والاقتصادية للمحتسب فإن له وظيفة اجتماعية حيث يقوم بالحث على اتباع القيم الأخلاقية، وفي ذلك يقول ابن خَلْدون عن المحتسب إنه: «يبحث عن المنكرات، ويعزر ويؤدب على قدرها، ويحمل الناس على المصالح العامة في المدينة، مثل المنع من مضايقة الناس في الطرقات، ومنع الحمالين وأهل السفن من الإكثار في الحمل، والضرب على أيدي المعلمين في المكاتب وغيرها في المبالغة في ضربهم للصبيان المتعلمين»[1].

(١) «مقدمة ابن خلدون»: (٢/ ٧٥٦)، تحقيق أ. د/ علي عبدالواحد وافي، ط القاهرة ١٩٥٨م.

المبحث الثالث

حق الفرد في الرعاية الاجتماعية[١]

يقصد بهذا الحق أن الفرد يجد ضماناً من الدولة المسلمة وهي تنظر إليه وتعرف مكانه وتحس بعجزه وحاجته. ولكن قبل أن تقدم الدولة الدعم والرعاية فهي تنظر إلى أن هذا الحق ليس مطلقاً بل يتقيد بعدة ضوابط واعتبارات.

ذلك أن الشريعة الإسلامية تدعو إلى العمل والكسب الحلال الذي يغني الفرد عن سؤال الناس، فإذا احتاج المساعدة قدمت له بشروط، كما يجب على الدولة مساعدة الفرد على الاستفادة من قدراته ومهاراته، وتهيئة سبل العمل والكسب له، فإذا عجز كان على الدولة كفالته من بيت المال.

وننتقل من الإجمال إلى التفصيل فيما يأتي:

أولاً: الاكتفاء الذاتي للأفراد:

الأصل أن الإنسان يكفي نفسه بنفسه بأن يَكُدَّ ويكدح ويحصل على كفايته من عمل يمينه وعرق جبينه، ولا يسأل الناس، يقول تعالى ﴿**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ**﴾[٢]، ويقول سبحانه ﴿**وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ**﴾[٣]، ويقول سبحانه: ﴿**هُوَ**

(١) «الرعاية الاجتماعية في الإسلام»، د/ مصطفى أحمد حسان، ص ١٨ وما بعدها (بتصرف).
(٢) سورة الجمعة، الآية: ١٠.
(٣) سورة المزمل، الآية: ٢٠.

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾(١).

وفي الحديث الشريف عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **"ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده"**(٢).

والإسلام ينفر الناس من الكسل وطلب الإحسان والشفقة، ويدعو إلى العمل والاجتهاد، والتعفف عن السؤال، فعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **"لا تلحوا في المسألة فوالله لا يسألني أحد منكم شيئاً فتخرج له مسألته مني شيئاً وأنا له كاره فيبارك له فيما أعطيته"**(٣).

لذلك فإن سؤال الناس (أو الدولة) العون والمساعدة أمر غير مرغوب فيه مادام الإنسان قادراً على العمل والاكتساب.

ثانياً: طلب الفرد للمساعدة:

عندما يتقدم الفرد بطلب للمساعدة لإحساسه باحتياجه إلى المعونة، فإن الدولة لا تقدم المساعدة والرعاية دون دراسة وضع الفرد وحالته لتقرير مدى احتياجه للمساعدة. ويمكن أن تتخذ من موقف الرسول ﷺ من أبي بشر قبيصة بن المخارق عندما تقدم بطلب المساعدة صورة لدراسة الحالة،

---

(١) سورة الملك، الآية: ١٥.

(٢) «صحيح البخاري» (٤/ ١٨)، رقم ١٨٧٠.

(٣) «صحيح مسلم» (٣/ ٧٦)، باب النهي عن المسألة، «السنن الكبرى» للبيهقي (٤/ ١٩٦).

والقواعد التي يجب أن تقوم عليها، والأسس التي عليها تتقرر المساعدة:

فعن أبي بشر قبيصة بن المخارق رضي الله عنه قال: تحملت حمالة فأتيت رسول الله ﷺ أسأله فيها، فقال: «**أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها**»، ثم قال: **يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش - أو قال - سداداً من عيش، ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوي الحجا من قومه: لقد أصابت فلاناً فاقة، فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش - أو قال - سداداً من عيش، فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحت يأكلها صاحبها سحتاً**»[(١)].

ثالثاً: مساعدة الفرد على الاستفادة من قدراته للتغلب على مشكلته:

يقوم المنهج الإسلامي على مساعدة الفرد في الاستفادة من قدراته وإمكاناته الذاتية للتغلب على مشكلته بما يصون كرامته، من خلال مشروع أو عمل يؤديه بدلاً من الاعتماد على الإحسان أو الصدقة.

ومما يؤكد ذلك ما رواه أبو داود عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رجلاً من الأنصار أتى النبي ﷺ يسأله، فقال له: «**أما في بيتك شيء؟**» قال: بلى، حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقَعْبٌ نشرب فيه الماء. قال: «**ائتني بهما**» فأخذهما رسول الله ﷺ بيده وقال: «**من يشتري هذين؟**» قال رجل: أنا آخذهما بدرهم قال رسول الله ﷺ: «**من يزيد على درهم مرتين أو**

(١) «صحيح مسلم»: (٣/ ٨٢) كتاب الزكاة باب من تحل له المسألة.

ثلاثاً؟» قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين فأعطاهما إياه، فأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصاري وقال له: «**اشتر بأحدهما طعاماً فانْبذْه إلى أهلك، واشتر بالآخر قَدُوماً فائتني به**» فأتاه به فشد فيه رسول الله ﷺ عوداً بيده الكريمة ثم قال له: «**اذهب فاحتطب وبع، ولا أرينك خمسة عشر يوماً**» ففعل فجاء وقد أصاب دراهم، فاشترى ببعضها ثوباً وببعضها طعاماً، فقال رسول الله ﷺ: «**هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة، إن المسألة لا تصلح إلا لثلاث: لذي فقر مدقع، أو لذي غرم مفظع، أو لذي دم موجع**».

رابعاً: تهيئة الدولة سبل العمل والكسب للأفراد:

لما كان العمل مشروعاً والسؤال محظوراً - في المنهج الإسلامي - وأن الأصل هو السعي للكسب والاجتهاد في سبيل الرزق، لذلك كان من المسلم به أن تقوم الدولة الإسلامية بتسهيل سبل العمل والكسب للأفراد، وإيجاد العمل للمتعطلين، وإقامة المشروعات النافعة لتشغيل الأفراد، وفي ذلك تقوم الدولة بإقراض الأفراد من بيت المال، وقد صرح بهذا الفقيه أبو يوسف صاحب أبي حنيفة فقال: «إن صاحب الأرض الخراجية إذا عجز عن زراعة أرضه لفقره، دفع إليه كفايته من بيت المال قرضاً ليعمل ويستغل أرضه»[(١)].

(١) «الخراج» لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم، (ص١٤٥)، طبعة القاهرة، ١٣٩٢هـ.

خامساً: كفالة الدولة للأفراد من بيت المال:

إذا لم تف الإجراءات والتنظيمات السابقة في سد حاجة المحتاج، وإخراجه من الضائقة التي ألمت به، تولت الدولة كفالته، وذلك انطلاقاً من التوجيه النبوي الكريم: «**ما من مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة، اقرؤوا إن شئتم ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾**[1] **فأيما مؤمن مات وترك مالاً فيرثه عصبته من كانوا، ومن ترك ديناً أو عيالاً فعلي**»[2].

وكفالة الدولة لرعاياها الفقراء لا تقتصر على المسلمين، بل تشمل غير المسلمين (الذميين) أيضاً إذا كانوا فقراء يستحقون العون، فقد روى أبو يوسف أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى شيخاً يهودياً كبير السن فاقد البصر يسأل الناس، فطلب من خازن بيت المال إعطاءه وأشباهه ما يغنيهم عن السؤال[3].

لذلك وجب على الدولة كفالة رعاياها المحتاجين من بيت المال قدر حاجتهم، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله:

«والمحتاجون إذا لم تكفهم الزكاة أعطوا من بيت المال على وجه التقديم على غيرهم من وجوه الصرف»[4].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦.

(٢) «صحيح البخاري» باب الصلاة على من ترك ديناً.

(٣) «الخراج» لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم، صـ ١٥٠.

(٤) «السياسة الشرعية» ص٥٣، طبعة القاهرة ١٣٨٧هـ.

الفصل الثاني

مصادر تمويل الرعاية الاجتماعية في الإسلام

تمهيد:

المبحث الأول: تشريع الزكاة.

المبحث الثاني: نفقة الزوجة والأقارب.

المبحث الثالث: الرعاية الاجتماعية من خلال الوقف.

المبحث الرابع: الرعاية الاجتماعية من خلال الإرث.

المبحث الخامس: الرعاية الاجتماعية من خلال الوصية.